

نظرة الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي للتعليم الفرنسي ببلدة العطف

Sheikh Abdul Rahman bin Omar Bakli's view of French education in the town of Al-Ataf

محمد الطاهر بوشمال *

طارق ثابت

جامعة باتنة 01

جامعة باتنة 01

مخبر أبحاث في التراث الفكري

مخبر أبحاث في التراث الفكري

والأدبي بالجزائر

والأدبي بالجزائر

mohamedtahar.bouchemal@univ-batna.dztarek.tabet@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2025/03/28

تاريخ القبول: 2025-05-27

ملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى بيان الخط الإصلاحي لأحد أعمدة الكتابة الصحفية في الجزائر إبان فترة الاحتلال ، الذي كان يمثل مدرسة الجنوب رديفة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في توجيهها ومسارها ، ألا وهو الشيخ " عبد الرحمن بن عمر بكلي البكري " سليل منطقة وادي ميزاب العامرة بالعلم والعمل ، حيث كان هذا الأخير مواظبا على الكتابة في أهم صحفها بقيادة العميد " إبراهيم أبو اليقظان " المسماة " وادي ميزاب " في الفترة الممتدة من عام 1925 م إلى 1934 م .

وقد تناول في إحدى مقالاته مشكلة أو اختلال التعليم الفرنسي في بلدة العطف ، وقد تناولها بنوع من الإسهاب وصف فيها طبيعة تعامل المستعمر الفرنسي وأذنا به مع كل ما يمت بصلة لإيقاظ هذا الشعب من غفوته التي طال أمدها ، وبخاصة في مجال التعليم سواء أكان التعليم العربي الحر منه الذي لاقى كل ممانعة من الإدارة الاستعمارية ، أم حتى التعليم الفرنسي الذي وجهه المستعمر بالأساس من أجل أن يحوبه كل ما بقي من الشخصية الجزائرية العربية المسلمة ؛ فقد بين مدى ضعفه وتضعفه والقصدية المنشودة من وراء ذلك ، مع تقديم الحلول الكفيلة دون وقوع العواقب الوخيمة على المدين المتوسط والبعيد.

الكلمات المفتاحية : كتابة صحفية؛ إصلاح ؛ جمعية العلماء ؛ وادي ميزاب ؛ تعليم فرنسي.

Abstract:

This study aims to show the reformist line of one of the pillars of journalistic writing in Algeria during the occupation period, who represented the southern school that accompanied the Association of Algerian Muslim Scholars in its orientation and course, namely Sheikh 'Abd al-Rahman bin Omar Bakli al-Bakri', a descendant of the Mizab Valley region full of knowledge and work, as the latter was a regular writer in the most important newspaper led by Brigadier General 'Ibrahim Abu al-Yaqzan' called 'Mizab Valley' between 1925 AD and 1934 AD.

In one of his articles, he dealt with the issue of the dysfunctional French education in the town of Al-Attaf, and he dealt with it at some length in which he described the nature of the dealings of the French colonialist and his lackeys with everything related to the awakening of this people from their long-standing slumber, especially in the field of education, whether it is free Arab education, which met all the reluctance of the colonial administration. or even French education, which the colonialist directed primarily to erase all that remained of the Algerian Arab-Muslim personality; he showed the extent of its weakness and erosion and the intended purpose behind it, while offering solutions to prevent dire consequences in the medium and long term.

Keywords: Journalism; reform; Society of Scholars; Wadi Mizab; French education.

مقدمة :

لا شك أن المقالة هي من أكثر الفنون الأدبية انتشارا واستخداما في حياتنا المعاصرة ، إذ فرضتها جملة المتغيرات الحديثة التي جاءت كنتائج لما حصل في الوطن العربي من تحول بعد دخول الاستعمار الغربي ؛ حيث يذهب شوقي ضيف إلى أن فن المقالة عند الغربيين " ... قد أنشأتها عندهم ضرورات الحياة العصرية والصحفية ، فهي لا تخاطب طبقة رفيعة في الأمة ، وإنما تخاطب طبقات الأمة على اختلافها ، وهي لذلك لا تتعمق في التفكير حتى تفهمها الطبقات الدنيا ، وهي أيضا لا تلتمس الزخرف اللفظي ، حتى تكون قريبة من الشعب وذوقه الذي لا يتكلف الزينة ، والذي يؤثر البساطة والجمال الفطري ..."¹

وقد كان لها الدور الأساس في إنارة العقول وشحن الهمم نحو التغيير والثورة على المستعمر " ... وهكذا الصحافة الحرة التي لا تلج معامع الشخصيات ، ولا تصرف قوتها العتيدة في الانتصار إلى مبادئ حزبية لا ضلع لها في قوام حياة البلاد إلا قليل ولا في الاشتغال بالاختلافات البيزنطية التي لاتزيد مسافة الخلف إلا انفراجا وقوة الأمة إلا وهنا .نعم ؛ إن وظيفة الصحافة الحرة في بث أفكار الشعب على اختلافها ، وتمحيص الزبد الصراح والحق من الباطل ، فتظهر الحق يتبختر اتضاحا وتترك الباطل يتضاءل افتضاحا ، كما أن من

¹ شوقي ضيف ، الأدب العربي المعاصر في مصر ، ط06 ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ص 205 .

أكبر مزاياها إنعاش الأفكار بسرعة مدهشة وتكوين الشعب من أقصاه إلى أقصاه كتلة متراصة لا تعمل فيها المعاول الهدامة ولا القوات الفولاذية ، لا ولا ترتد أمام أية قوة إلا بعد نيل مرامها¹ ... ، وتاريخ الصحافة العربية الجزائرية تاريخ حافل بالصراع والمقاومة ، زاخر بآيات التصدي والتحدي ، حيث ... " تضافرت عليها أسباب التثبيط والعرقلة من كل جهة وامتدت إليها الأيدي بالطنن من كل جانب ... ، وكان يجابهها في آن واحد أربعة مقاومين ... غير أن أشد هذه الجبهات بالصحافة فتكا وأقواها تأثيرا على روح المقال الصحفي فكرة وأسلوبا كانت جبهة السلطات الاستعمارية الحاكمة².

ويسجل كذلك محمد ناصر أن النشاط الصحفي في الجزائر جاء متزامنا مع انتشار حركة التعليم الإصلاحي الحر ، الذي أقرته بعض الدوائر الفرنسية العليا - على مضض - حيث " ... بدأت الصحف العربية في الظهور ولا سيما مع بداية 1925 وبخاصة في شرق البلاد ، وصحرائها ، ويأتي في صدارة هذه الجرائد " المنتقد " ، و " الشهاب " و " وادي ميزاب " ، و " صدى الصحراء " ، و " البرق " ، و " الإصلاح " وهي الجرائد التي كانت تجمع أقلام الشباب الذين عادوا من تونس بعد أن تزودوا بزد وفير من العلوم وبتجارب اجتماعية وسياسية لا يستهان بها

ويسجل لنا الشيخ عدون في مذكراته عند نشأة " معهد الحياة " سنة 1925 اجتماعا مماثلا جمع أقطاب الحركة الإصلاحية بوادي ميزاب : الشيخ بيوض ، والشيخ أبا اليقظان ، والشيخ عدون ، لوضع الخطط وتعيين الوسائل ، وكان الاتفاق هنا أيضا على اعتماد وسيلتين اثنتين هما التعليم العربي الإسلامي ، ونشر الصحف العربية " ³

¹ الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي ، بصمات البكري الصحفية ، من أرشيف النهضة الجزائرية الحديثة تجميع وتقديم : قاسم بن حمو حجاج ، مكتبة البكري ، العطف - غرداية - الجزائر ، 1424هـ/2003 م ص أ .

² محمد ناصر ، المقالة الصحفية الجزائرية ، نشأتها ، تطورها ، أعلامها من 1903 إلى 1931 ، المجلد الأول ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1978 ، ص 41 - 42 .

³ مقال بعنوان " الشيخ عبد الحميد بن باديس وعلاقته بالحركة الإصلاحية بوادي ميزاب للدكتور : محمد ناصر ، مجلة الوعي ، العدد 01 رجب/ شعبان 1431هـ / جويلية 2010 ، روية / الجزائر ، ص 23 .

- ثانيا- الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي البكري وجهوده العلمية: يجدر بنا بداية أن نعرف به فهو مناط دراستنا وتحليلنا، فمن خلال المصادر¹ التي ذكرت سيرة الشيخ تبين أنه ولد بالعطف (والعطف مدينة من مدن سهل وادي ميزاب على بعد 600 كلم جنوب الجزائر العاصمة ، تسمى بالميزابية " تاجننت " وهي أولى مدن ميزاب السبع تأسست حوالي عام 1014 م ...) ، في 03/10/1901م الموافقة لـ 1319هـ ، ترعرع في كنف عائلة أصيلة أوتيت بسطة في العلم والمال ، وهذه أهم المحطات في سيرته العلمية:
- سنة 1907 تعلم القرآن ومبادئ القراءة والكتابة في المدرستين الميزابية العربية الإسلامية وبالمدرسة الفرنسية .
 - سنة 1912 أتم حفظ القرآن والتحق بحلقة إروان. ثم التحق بالعاصمة ليواصل دراسته في مدارس العاصمة .
 - ابتعث سنة 1922 ضمن البعثة العلمية الميزابية إلى تونس ، ليتخرج في جامعة الزيتونة والمدرسة الخلدونية على عهد الأساتذة أعلام النهضة التونسية .
 - ما بين سنوات 1923-1929 صار العضد الأيمن لكل من الشيخين : أبي اليقظان إبراهيم ومحمد بن صالح الثميني ... ومن هنا بدأت أولى خطواته في الكتابة الصحفية مع جريدة " وادي ميزاب " التي كانت تصدر في تونس تحت إشراف الرائد المذكورين آنفا .
 - في سنة 1931 شارك بفعالية في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كعضو في لجنة صياغة قانونها الأساس.
 - عين عضوا سنة 1934 بحلقة العزابة ببلدته العطف .
 - ما بين سنوات 1934-1939 مارس التجارة مع والده وأزره في عز الأزمة الاقتصادية العالمية في الثلاثينيات من القرن الماضي .
 - انتقل إلى العطف سنة 1939 ثم برين متفرغا للجهاد التربوي والتعليمي والإرشاد الديني على رأس حلقة العزابة بهما .

¹ الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي ، بصمات البكري الصحفية ، من أرشيف النهضة الجزائرية الحديثة
تجميع وتقديم : قاسم بن حمو حجاج ، ص05.

-سنة 1945 أسس مع رفاقه في الدرب الإصلاحي جمعية النهضة التعليمية بالعطف وصار رئيسا شرفيا لها ، كما أسهم سنة1946 في تأسيس جمعية الفتح التعليمية ببريان وكان أول رئيس لها.

- مابين سنوات 1954-1962 شارك في الجهاد الثوري من أجل الاستقلال الوطني في صفوف جبهة التحرير الوطني وألقي عليه القبض سنة 1957 هو ورفيقه في النضال الشهيد باسليمان إبراهيم لمنور .

- عين عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى كعضو في لجنة الإفتاء سنة 1966، ليتولى رئاسة مجلس عمي السعيد أواسط السبعينيات.

- التحق إلى جواربه ببريان- رحمة الله عليه في 13/01/1986 م الموافق لـ 05 جمادى الأولى 1406 هـ .

* والشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي البكري لم يأل أي جهد في أن يسخر قلمه الصحفي في أي مجال من مجالات الحياة : السياسية ، الاجتماعية ، الدينية ، الاقتصادية بله التربية والتعليمية ... حيث " كان ميدان التعليم والتربية والتوجيه والإرشاد من بين الميادين التي اهتم بها الشيخ ... ، فقد كان يستغل كل مناسبة له ليعرض الموضوع ، ويناقش قضاياها ويحرض على الأخذ من العلم بقوة .

لقد خص مجال التعليم بجهد كبير ، وجند نفسه ، ووجه طاقته لتهيئة الأسباب والجو الملائم لتسيير عملية التعليم سيرا مطردا ، وتنمو نموا يستجيب لحاجات الأمة ، مما يتطلبه العصر ، ويحقق أهدافها المرسومة وآمالها المنشودة .وكان دائما يحرض ويدعو ، ويصرخ ويستغيث ويستنجد ، وكان ينعي ويلوم ويوبخ على التقاعس والتخاذل ، وكان يشحذ العزائم ، ويشجع على مواصلة العمل والثبات والصبر.كان يسعى إلى الظفر بالعقول المتنورة ، التي تفهم معنى الحياة المطلوبة ، وتعي حقيقة المستقبل المنشود ، وكان يطلب المعلم الكفاء ، الذي يعتمد عليه في إعداد الجندي المدرب المثقف بالثقافة الأصيلة ، التي تعين على خوض معترك الحياة بالقوة اللازمة والثقة الكاملة ، كان يبحث عن المجاهد المنفق في سبيل المشروعات العلمية باقتناع وسخاء لا يعرف الحدود "¹.

¹ محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، حقيقة التعليم في فكر الشيخ عبد الرحمن بكلي ، ط01 ، 2011،

جمعية تراث ، القرارة - الجزائر، ص 05.

ثالثا- الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي البكري والتعليم الفرنسي : ما نحن بصدد معالجته مقال - من جزأين - يتحدث فيه عن التعليم الفرنسي الموجه لأبناء مدينته مدينة العطف ، وهو وإن تحدث عن التعليم الفرنسي في منطقته ، فإنه يقصد به عموم التعليم الفرنسي الموجه لأبناء الأهالي في كل القطر الجزائري إبان فترة الاحتلال ، وبخاصة الجنوب الجزائري ؛ حيث خصته فرنسا بالحكم العسكري " ... وما أدراك ما هو؟ حكم ، بيد أنه وحشي وفظيع ، وبغي ، لكنه فظ وغليظ . وظلم إلا أنه فوضى غير مهذب الحواشي ، تتبرأ منه العدالة السماوية ، ويستعيز من قساوته قانون الإنسانية .

إنه الوباء الذي أصاب وطن ميزاب ، فأزال معنوياته ، وأتلف خصائصه ، وسمم دماؤه ، وفسخ أخلاقه ، واستنزف قواه ، واستل الشهامة من نفسه ، والشجاعة من قلبه ، وفرقه شيئا ، وجعل بأس سكانه بينهم شديدا .

... ولقد تجرع ميزاب طيلة حكمه الأمرين ، وأصلي في عهده بنارين ، نار الجفاء ونار الجفاف وما انفك يسير في حياته سير السرطان ، لا يتقدم ذراعا إلا ليتأخر باعا ، ولا يطلع قليلا ، إلا ليرسب كثيرا ، حتى سئم العقلاء وطأته ، واستعاذوا من شبحه ، وودوا لو نزعوا غله من أعناقهم فلم يستطيعوا ، وأن يسلبوا ثيابهم من ثيابه فما أطاقوا " ¹.

وهيكلي المقال كما يرى المتخصصون في كتابة فن المقال تتألف " ... من ثلاثة أجزاء على العموم ، فالجزء الأول الذي يشبه الاستهلال في الموضوع الإخباري ، يقدم بيانا عن حالة ما أو حجة سيصار إلى الدفاع عنها .

أما الجزء الثاني الذي يطلق - عليه عن وجه - حق لقب الجسم أو الجذع ، فإنه يباشر في التوسع في ذلك البيان .

أما الجزء الثالث أو الخاتمة فيرتئي علاجها ، أو يطلق مناشدة من أجل عمل ما ، أو يحاول أن يجمل غاية الكاتب الأساسية في مقطع قوي التركيب" ²

¹ الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي (البكري) ، مسيرة الإصلاح في جيل 1918-1948 ، إعداد وتقديم د.مصطفى صالح باجو ، مكتبة البكري ، العطف - ولاية غرداية - الجزائر ، 1425هـ / 2004م ، ص 28-31 .

² بييري توماس ، الصحافة اليوم ، ترجمة مروان الجابري ، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر ، 1964 م ، بيروت - لبنان ، ص 297 .

عنون الشيخ عبد الرحمن بكلي مقاله في جزأيه الأول والثاني بعنوان مباشر " اختلال التعليم الفرنسي ببلدة العطف"¹ في إشارة منه إلى أن الوضع التعليمي فيه كثير من الارتباك والنقص ، وتشويه شائبة أسهمت عوامل كثيرة في ظهوره ، من أجل هذا حرص الشيخ البكري² على استعمال عبارات واضحة تبدو عليها الجدة ، وتجنب العبارات المهجورة ، وهي إشارة منه إلى أن الوضع التعليمي للفرنسية في بلدته صار لا يطاق ، ويجب النظر إليه بجدية .

استهل الشيخ عبد الرحمن بكلي مقاله بنوع من الأسف على ما فات من الزمن ، وما ضاع على أطفال بلدة العطف من تعليم الفرنسية ، لولا اشتغالهم بالتعليم العربي الديني الذي كان يعتمد عليه - وما زال - في تربية الناشئة الميزابية حيث يقول : " هاهو شهر أكتوبر قد تصرم ، وهاهو ذا نوفمبر يكاد ينتصف وأبواب المكتب الفرنسي بهذه المدينة مقفلة وتلاميذه - لولا اشتغالهم بالتعليم الديني - مشردون ... فإنهم محرومون مما يتمتع به زملاؤهم ...
3"

نجد الشيخ عبد الرحمن بكلي يستطرد نوعا ما في استهلال/مقدمة هذا المقال ليبين الحال أكثر للقارئ حيث يقول : " تلفهم ينادون في سوق المدينة قبل أن يعلموا بوصول معلم المكتب يوم 30 سبتمبر: ألا أحضروا أبناءكم غدا إلى المكتب الفرنسي على الساعة الواحدة مساء ، فمن تخلف عن إحضار ولده : غرم ، ظن الناس أن المعلم قد وصل ، وأن النظام قد أخذ مجراه ، فلبوا النداء .وجاءت التلاميذ من الكيلومترات زرافات ووحدانا .بيد أنهم لم يجدوا أحدا في انتظارهم ... فبقوا هناك أربع ساعات في هرج وهراس ..."⁴

¹ نشر هذا المقال في جريدة وادي ميزاب . السنة الأولى . العدد 09 . الثلاثاء 05 شعبان 1353هـ / 13 نوفمبر 1934 م ص 01 ... ولكني شخصيا لم اعتمد على الصحف الأصلية التي نشرت فيها المقالات ، بل كان اعتمادي في تهميش المقالات عندما جمعت في كتاب " بصمات البكري الصحفية ، من أرشيف النهضة الجزائرية الحديثة ... ص 258 .

² البكري : هو اللقب الذي كان يمضي به الشيخ بعض مقالاته ، وهذا ما فعله في هذا المقال الذي تناولناه بالتحليل

³ الشيخ عبد الرحمن بكلي ، بصمات البكري، ص 258.

⁴ المصدر نفسه ، ص 259.

ويرجع الشيخ البكري هذا الاختلال وعدم الالتزام إلى القائمين على التعليم الفرنسي في وادي ميزاب وبخاصة مدينة العطف ، من إدارة فرنسية ، وأعيان البلدة -أغنياؤها- (القائيد وجماعته) حيث يقول : " ... فهلا ضبط القائد وجماعته أمرهم في غرة أكتوبر وألزموا مواطنهم بالمثل بصبيانهم واهتموا بهذا الإهمال فطلبوا قدوم معلم عاجلا ... " ¹ .

ويلاحظ القارئ الحضيف الأسلوب الذي وظفه الشيخ البكري في بيان الحال " فهلا ضبط " ، فهو أسلوب حض فيه كثير من الذكاء في التعامل مع المستعمر وأذنبه في تلك الفترة الحرجة ، وبخاصة منطقة وادي ميزاب التي كانت تعاني من الحكم العسكري المباشر ، فلينظر القارئ المتأمل ؛ إلى أن غرامة كانت تؤخذ من ولي التلميذ حتى وإن لم يدرس حقيقة ، بله بمن يقف في وجه الحكم العسكري علانية .

يسترسل الشيخ عبد الرحمن بكلي في بيان حال التعليم الفرنسي في بلدته ، ويصر على أن هذا الأمر قد شغلهم منذ فترة ليست بالوجيزة ، ولطالما تكررت الممارسات ، وترسخت السياسات المائتة الميتة نفسها ، ولطالما رفعوا عقيرتهم بالشكوى لكن لا مجيب إذ يقول : " إن مسألة التعليم الفرنسي بوادي ميزاب كانت ولا تزال من المواضيع التي أشغلت حيزا كبيرا ... بلغ سيره حد الاختلال ، كمدينة العطف ، فإن المدينة طالما رفعت عقيرتها بالشكوى ... وذهبت صرخاتهم كصيحة في واد " ²

وكانت من أبرز الوسائل المتبعة في بيان الخلل ووضع اليد على الداء ، الكتابة الصحفية ، وشيخنا البكري كان من أعمدة جريدة " وادي ميزاب " ، حيث بين أن طرائق التعليم للغة الفرنسية لا تنتج إلا إعاقات وكفاءات غير مؤهلة إذ يقول : " نادت المدينة بإصلاح أمر التعليم في السنوات الفارطة على صفحات وادي ميزاب وأبانت بأسلوب مقنع أن الطريقة المتبعة لا تخرج إلا تلاميذ جهلة ... " ³ ، وكل هذا قوبل بالسكوت العميق ، لأن فرنسا منذ تأسيسها لمدرسة خاصة بالأهالي ⁴ ، عمدت إلى أن يكون مضمونها بعيدا " ... عن أهدافها

¹ المصدر نفسه ، ص نفسها .

² المصدر نفسه ، ص نفسها .

³ المصدر نفسه ، ص 259 - 260

⁴ الأهالي : لقب أطلقه المستعمر الفرنسي على الجزائري صاحب الأرض .

التربوية في ربطها بالمجتمع الجزائري ، لأنها لم تكن أداة تجديد أخلاقي ، علمي وإنما أداة لفرض السيطرة الاستعمارية ، والحقيقة التي لا يمكن تجاهلها هو أنها لم تكن تهدف في مسارها التاريخي منذ البداية إلى الارتقاء الاجتماعي بالجزائريين ...¹

ومادام منطق القوة الظالمة هو السائد فإن المسؤول على التلميذ من ولي أو كافل تحتم عليه الإدارة في بلدة العطف ألا يخرج من ميزاب إلا بعد انقضاء سبع سنوات - وهي سنوات كما يقول المتخصصون كافية لغرس المبادئ الصحيحة في نفسية ، وذهن الطفل - ، وهذا ما كانت تقصده الإدارة الاستعمارية ضمن سياسة " الأطرش في الزفة " - كما يقول المثل الشعبي - ، ومن يخالف ذلك يغرم بغرامة مالية جزاء تهاونه بقانون التعليم ؛ يقول في هذا الصدد من المقال نفسه : " نحن لم نفهم منطق قانون التعليم الفرنسي بوادي ميزاب وعلى الأخص العطف ... نجد التعليم إجباريا ... إذ لا يستطيع أحد بلغ ولده ... إخراج من ميزاب إلا بعد أن يمضي في المكتب الفرنسي سبع سنين على الأقل ... " ² .

ويستمر منطق القوة الحارسة للتناقض ؛ إذ يذكر الشيخ عبد الرحمن بكلي أمرا يعد من المعوقات الأساسية للعملية التعليمية ، وهو الاكتظاظ داخل القسم ، أو عدم توفرها من الأساس تحت ضغط إجبارية التعليم ، أو الغرم دون الغنم ، وصدق المثل العربي القديم حين قال : " أحشفا وسوء كيلة " ، وفي هذا الأمر يصرح : " ومن جهة أخرى نجد الطريقة المتبعة غير مبنية على قاعدة التعليم الإجباري ، وذلك أن المدينة يمكن أن يكون لها كل سنة مائة تلميذ في سن التعليم ، وهؤلاء - بناء على تعميم التعليم - لا يجدون كلهم أمكنة في المكتب ، حيث لا يشمل إلا على قسم واحد ، وهذا لا يسع أكثر من أربعين تلميذا إلا مع الضيق ، وعليه فالتوازن مختل بين مبدأ التعليم وبرنامج المتبع في مدينة العطف " ³ ، ولكن " ... وطأة هذه الأضرار لا تعانها إلا الطبقة الفقيرة " ⁴ .

¹ آسيا بلحسن رحوي ، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي ، مقال منشور ضمن أعمال مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية ، جامعة مولود معمري - جامعة تيزي وزو ، الجزائر ، عدد ديسمبر 2011م ، ص 72 .

² الشيخ عبد الرحمن ، بكلي ، المصدر نفسه ، ص 260 .

³ المصدر نفسه ، ص 260 - 261 .

⁴ المصدر نفسه ، ص 261 .

رابعاً- عوامل اختلال التعليم الفرنسي ومنظومته عند الشيخ عبد الرحمن بكلي: مما سجله الشيخ في كتابه " مسيرة الإصلاح في جيل 1918-1948 عن وضعية التعليم الفرنسي تبين أن مطالباتهم الحثيثة عبر الصحف الحرة التي كانوا يكتبون فيها قد أتت ببعض الثمار الحلوة الحامضة إذ يقول : " أما في العطف فقد كان مكتبه من أقدم المكاتب تأسيساً في ميزاب ، يتألف من قاعة واحدة للتدريس ، ومحل لسكنى المعلم ، فظل كذلك إلى حدود سنة 1926 ، إذ زيدت به قاعة جديدة ، فأضيف القسم القديم لسكنى المعلم . واستمرت الحالة كذلك إلى سنة 1929 ، فزيد بها قسمان جديدان ، عين لهما معلمان جديدان كذلك ، فأصبح في مكتب العطف ، ثلاثة معلمين ، في ثلاثة أقسام . لكن المعلم الثالث لم يكن له محل يسكنه في المكتب ، فاضطرت البلدية ، أن تحجز له بيتاً في دار العرش¹ ، الأمر الذي أوجب إنشاء بناية لسكنى المدير جنب المكتب في أرض النهضة** التي كانت أعدتها بجنان " باعي " لبناء مدرستها ، فتنازلت عنها لمصلحة المكتب المستعجلة ، وإن عوض لها مثلها في البلدة الجديدة . هنالك تنفست العطف الصعداء ، حيث اتفق زيادة هذه الأقسام مع تنظيم " مدرسة النهضة " لسير التعليم العربي الابتدائي ، فتعشمت وراء هذا التواطؤ المفيد مستقبلاً ثقافياً يشرف العطف ويبرز ما كمن من استعداد قوي في نفوس نابتها ، وتراقصت أمام عينها أطيايف مستقبل بسام ، شربت على نخبه كأساً من الهناء معسولاً . لكن الزمان لا يواتي الأحرار دائماً . وأم الخير مقالة نزور . فظل التعليم يمشي رغم ذلك مشية عرجاء ²

تلك المشية العرجاء قد فصل أسبابها وموانعها الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي في الجزء الثاني من المقال³؛ إذ ذكر أول الأسباب :

¹ دار العرش في الثقافة الميزابية : هي دار لنزول المسافرين الميزابيين ، ... ، فيها قاعة للصلاة ، وهي مجهزة بمرافق ووسائل الطهارة ، تضم هذه الديار مدارس دينية قرآنية تتولى القيام بمهام تربية النشء الميزابي... هذه المعلومة مأخوذة من الموقع الإلكتروني : www.atmzab.net

² الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي ، مسيرة الإصلاح ، ص 177-178 .

³ نشر هذا المقال في جريدة " وادي ميزاب " . السنة الأولى . العدد 11 . بتاريخ : الثلاثاء 19 شعبان

1353 هـ الموافق لـ 27 نوفمبر 1934 . 01 و 02 ... لكن بقي اعتمادي في تهميش المقالة على ما جمع في كتاب " بصمات البكري الصحفية .

01- كثرة التلاميذ على معلم واحد : وهذا من الأسباب الرئيسة في جعل العملية التعليمية تهتز وتختل : إذ لا يمكن لأي معلم مهما أوتي من مهارة وكفاءة أن يؤدي رسالته على أكمل وجه ، والأعمار تتقارب وتتفاوت هذا بالنسبة للتلاميذ ، بله القدرات العقلية والنفسية لكل مرحلة عمرية حيث قال : " ليت شعري كيف يستطيع المعلم مهما كان ماهرا أن يقسم أوقاته تقسيما لا يبخل فيه حق طبقة من الطبقات . أم كيف يكون له الوقت الكافي لتفهم كل طبقة على حدة ، حتى يتسنى لكل واحدة منها أن تتقدم في التعليم ؟ أم كيف يتأتى الفهم لطبقة وبجانها أخرى تقلقها بحفظها لدروسها وأخرى بهمسها وثالثة بضوضائها

1ؑ

ففي ظل هذه الفوضى العارمة مضمونا ، المنظمة - في وجه الاستعمار - شكلا ، يكبر ناشئ الفتیان فهم على ما كان عوده أبوه - كما قيل - : ينشأ على عدم تحري النظام ، مشوش الفكر ، لا يصلح أن يعتمد عليه في حياته وهذا ما ذكره في قوله : " على أن أول ما يجب غرسه في نفس التلميذ هو تحري النظام . فإذا كانت مشاهداته الأولى لا تقع على النظام تشرب به نفسه ، فإنه ينشأ - لا محالة - مبعر الأحوال : مشوش الفكر ، لا يصلح أن يعتمد عليه في حياته . فإذا كان التعليم - المقصود منه تهذيب النفس وتنظيم أحوالها - لم يوجد فيه هذه الخاصية ، خاصة تحري النظام ... "2.

ثاني تلك الأسباب حسب تحليل الشيخ بكلي :

02- خلوه من مادة العلم الصحيح : وكان الشيخ بكلي عندما تطرق لهذا السبب ، قد أجرى مقارنة - وهذا وفقا لمشاهداته وتنقلاته بين التل والصحراء - بين مدارس التل ومدارس وادي ميزاب بخاصة بلدته العطف ؛ حيث إن مدارس التل الابتدائية الخاصة بالأهالي ، تتوفر على كتب نظامية ، ومواد نظامية كذلك من نحو وصرف ، وتاريخ وجغرافيا ، ورياضيات وطبيعة وكيمياء ... وهذا ما سجله في قوله : " أما الكتب القيمة التي تضمن الفوز والنجاح للتلميذ إذا أوتي معلما يحسن تلقينها وكان له الوقت الكافي لذلك ، فهي الكتب التي تقررها المدارس النظامية في التل من نحو وصرف ، وتاريخ وجغرافيا ورياضيات وطبيعة وكيمياء وفقه لغة ومحفوظات أدبية ، وأناشيد مدرسية وغير ذلك ، فهناك لا

¹ الشيخ عبد الرحمن بكلي ، بصمات البكري الصحفية ، ص 262.

² المصدر نفسه ، ص 263 .

تمضي على التلميذ ست سنوات حتى يتخطى الشهادة الابتدائية وتطمح نفسه إلى نيل الشهادات التي بعدها¹.

أما ما خصص لمدرسة مدينة العطف فنترك الشيخ عبد الرحمن بكلي يصف ذلك في قوله : " أضف إلى هذا النفور والازورار عن التعليم الفرنسي قصور برامجه في هذه المكاتب ، واقتصارهم على مثل كتب "الصوالح" و"بلقاسم بن سديرة" و"قصص جحا" التي تمسخ الفطرت وتقتل الأعمار ، وتقضي على جيل المستقبل . فكان كل أولئك ضغثا على إباله ، وسببا من أقوى الأسباب في بطء يقظة الشعب الميزابي " .

... " وهكذا ظلت الإدارة العسكرية ساهرة على نوم الأمة ، متهاونة بمستقبلها ، مستديمة لغفلتها وسذاجتها ، والميزابيون لا يزيدون على أن يرسلوا الزفرات ، ويصعدوا آهات التذمر من ضياع أعمار أبنائهم بين تلك القبور المجصصة ، ثم لا تلبث تلك الزفرات المصعدة والآهات المرسله أن تتلاشى في الفضاء ، لأنها لم تصحب بعمل جدي " ² .

وثالثة أثافي اختلال التعليم الفرنسي في نظر الشيخ عبد الرحمن بكلي هو عدم شموله ، ويقصد بذلك : " اقتصار المعلمين على حصة المكتب دون أن يلزموا التلميذ بالعمل البيتي كما يوجبه منهاج التعليم بالتل . ولا يخفى ما للعمل المنزلي من تأثير في تقدم التلميذ " ³ ، ... سيما إذا أوتي فردا مثقفا في عائلته يعينه على دروسه ويزيد له ما أهمله المدرس أثناء الدرس ... فإن ذلك التلميذ سرعان ما يطوي المراحل التي يصعب على الذي عثر به جده أن يجتازها في السنوات العديدة " ⁴ .

أما رابع الأسباب التي أوردها الشيخ بكلي ، ونظنها من أهم عوامل الاختلال ؛ فهي كثرة توارد المعلمين ونتركه يشرح ذلك من خلال المقال إذ يقول : " إن من الأسباب التي زادت هذا البرنامج ضغثا على إباله كثرة توارد المعلمين على هذا المكتب دون مكاتب بلدان ميزاب بأسرها ؛ فعلى راس كل سنة دراسية - تقريبا - نرى وجها جديدا يستقبل أبناءنا ، تتباين

¹ المصدر نفسه ، ص 264 .

² الشيخ عبد الرحمن بكلي ، مسيرة الإصلاح ... ، ص 175 .

³ المصدر نفسه ، ص 178

⁴ الشيخ عبد الرحمن بكلي ، بصمات البكري الصحفية ، ص 265 .

أخلاقه ومداركة عن سابقه "...¹ ، وهذا الذي " ... وقع في بعض هذه السنوات الأخيرة ، إذ عين في القسمين الجديدين معلم وزوجته ، لكن الزوجة كانت حاملا تضطر من حين لآخر إلى الراحة نظرا لأعراض الحمل ، وأخيرا صادفت إجازة نفاسها شهور المكتب الأخيرة ، ولم يتمكن المدير من التحصيل على معلم يشغل فراغها ، فكانت الخسارة والغبن طبعاً على العطف وأبنائها"².

وقد حلل الشيخ عبد الرحمن بكلي هذه النقطة أكثر بأن أعطى ألوانا عدة لشخصيات المعلمين حيث قال : " ... فمنهم من هو حاذق في مهنته ؛ دمث الأخلاق ؛ بصير بإعداد الناشئة . وهذا الصنف لا يزور العطف إلا لماما . ومنهم من له إلمام بمهنته في الجملة ؛ بيد أنه معقد الأخلاق ؛ خشن الملمس ؛ إذ لمجرد مراجعة أو بادرة تصدر من تلميذ يعلو رأسه بعضاً ، ... ، ومنهم من لم يحصل على شهادة بعد بل جاء كمرشد فقط"³.

وفي آخر المقال يقترح الشيخ عبد الرحمن بكلي الحل الذي يراه الأنسب للحؤول دون وقوع كارثة أخرى ، وتضييقا لكل منفذ يكون سببا مباشرا أو غير مباشر يخل به التعليم الفرنسي الموجه لأبناء بلدته العطف ؛ إذ يقول في هذا المضمرة : " نرى المدارس تقسم إلى أقسام باختلاف عدد التلاميذ قلة وكثرة ويحشر في كل قسم أستاذ همه الوحيد الاشتغال بذلك القسم وإعطاؤه كليته ... ، فيفضل هذا التوزيع الذي يقع في المدارس النظامية يستطيع الأستاذ أن يستعمل سائر قوى التلاميذ ... "⁴ ، هذا بالإضافة إلى الأسباب آنفة الذكر ، فإن القارئ المتأمل لها سيجد الشيخ عبد الرحمن بكلي ، قد ضمنها الحلول .

ومما سجله الشيخ أن بارقة أمل قد لاحت في الأفق فـ " ... في أواخر الأربعينيات ، إذ جعل على رأس المكتب مدير كهل ، بعيد عن الأوساط الجزائرية وعنصريتها ، يظهر منه أنه ممن يعيشون مهنتهم ، ويحاول أن يبقي له ذكرا ، وقد أظهرت عجبته في غير ما مرة من سالفه

¹ المصدر نفسه ، ص نفسها .

² الشيخ عبد الرحمن بكلي ، مسيرة الإصلاح ، ص 178.

³ الشيخ عبد الرحمن بكلي ، بصمات البكري الصحفية ، ص 265 .

⁴ المصدر نفسه ، ص 266 .

الذين أهملوا النبوغ الكامن والاستعداد الكامل في نفوس أبناء العطف ، ورجا أن يعمل عملا يمحو به معرة التقصير السابق ... "1.

خامسا-خاتمة ونتائج : بعدما تقدم في هذا البحث من عرض وبيان رؤية الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي للتعليم الفرنسي في بلدة العطف ننهي التحليل بالوقوف على أهم ما توصلنا إليه من مقارنة :

*** إن الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي لم يمارس الكتابة الصحفية ارتزاقا ومهنة ، بل مارسها نضالا ورسالة ، متمركزا ضمن دائرة ثوابت الأمة الجزائرية بعامة ، والميزابية بخاصة ، بكل وفاء وإخلاص وأصالة وتفتح ، وهذا ما حتمه الوضع الاستعماري لبلده ؛ إذ سلخ الشيخ اثنتين وستين سنة من عمره تحت نير هذا الاحتلال الفرنسي .

*** ما لاحظناه على المستوى الهيكلي لمعظم مقالاته ، ومنها المقال المدروس " اختلال التعليم الفرنسي ببلدة العطف 201 ، أنها تتكون بشكل رئيس من العناصر الآتية :- العنوان - المقدمة - المناقشة (الموضوع الرئيس / الجسم / الجذع الخاتمة) .

*** ما استنتجناه من خلال مقاله عن التعليم الفرنسي أن الشيخ عبد الرحمن بكلي ، كان منفتحا على نتائج الصحافة العالمية ، وبخاصة الفرنسية منها ، بحكم إتقانه إياها قراءة وكتابة . وهذا ما تجلّى بصورة واضحة عندما قارن بين مناهج التعليم الفرنسي في التل وبين الطرائق المتبعة في الصحراء وبخاصة بلدته العطف .

*** من خلال المقال المدروس كذلك نستقي الهدوء والاعتدال والنقد البناء ، وعدم السخرية إلا نادرا ، كما يتميز أسلوبه بالمنطق والموضوعية والزهد في الهرجة اللفظية والنزاهة في الكلمة .

¹ الشيخ عبد الرحمن بكلي ، مسيرة الإصلاح ، ص 178 - 179.

المصادر والمراجع:

أولا الكتب:

- 1- بيري توماس، الصحافة اليوم ، ترجمة مروان الجابري ، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر ، 1964 م ، بيروت - لبنان.
- 2- شوقي ضيف ، الأدب العربي المعاصر في مصر ، ط6 ، دار المعارف ، القاهرة - مصر.
- 3- عبد الرحمن بن عمر بكلي (البكري) ، مسيرة الإصلاح في جيل 1918-1948 ، إعداد وتقديم د. مصطفى صالح باجو ، مكتبة البكري ، العطف - ولاية غرداية - الجزائر ، 1425هـ / 2004م .
- 4- عبد الرحمن بن عمر بكلي ، بصمات البكري الصحفية ، من أرشيف النهضة الجزائرية الحديثة ، تجميع وتقديم : قاسم بن حمو حجاج ، مكتبة البكري ، العطف - غرداية - الجزائر ، 1424هـ/ 2003 .
- 5 - محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، حقيقة التعليم في فكر الشيخ عبد الرحمن بكلي ، ط1 ، 2011 ، جمعية تراث ، القرارة - الجزائر.
- 6- محمد ناصر ، المقالة الصحفية الجزائرية ، نشأتها ، تطورها ، أعلامها من 1903 إلى 1931 ، المجلد الأول ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1978 .

ثانيا -المقالات والمجلات:

- 7- آسيا بلحسن رحوي ، مقال بعنوان: وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، منشور ضمن أعمال مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية ، جامعة مولود معمري جامعة تيزي وزو / الجزائر ، عدد ديسمبر 2011م .
- 8- محمد ناصر ، مقال بعنوان " الشيخ عبد الحميد بن باديس وعلاقته بالحركة الإصلاحية بوادي ميزاب ، مجلة الوعي ، العدد 01 رجب/ شعبان 1431هـ / جويلية 2010 روية / الجزائر.

ثالثا -الجرائد والمواقع الالكترونية:

- 9-جريدة وادي ميزاب . السنة الأولى . العدد 09 . الثلاثاء 05 شعبان 1353هـ / 13 نوفمبر 1934 م .

